المادة الدراسية: **الادب الاموي**

المستوى الدراسي الثاني

عنوان المحاضرة : اتجاهات الادب الاموي

أ.د. محمد عبيد صالح

الفنون الأدبية في العصر الأموي:

بلغت الفنون الأدبية في العصر الأموي مستوى رفيعاً من النضج والنماء والتي كان ابرزها: الشعر والخطابة والكتابة، وذلك لتضافر الكثير من العوامل والمؤثرات التي اسهمت بشكل كبير في ازدهارها وتطورها وسنتناول هذه الفنون على النحو الاتي:

الشعر:

يعد الشعر العربي مظهرا من مظاهر الحضارة الاسلامية وكان هذا الشعر وليد البيئة التي نشأ فيها والمؤثرات التي طرأت عليه فكان له انماط واتجاهات في العصر الاموي هذه الاتجاهات متمثلة: بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي والتي ادت الى ظهور لونا جديدا من الشعر لا عهد للعرب به من قبل هو الشعر السياسي، فكانت الأحزاب المتصارعة على الحكم تستعين بشعرائها لتأييد دعوتهم ومبادئها ، فكان لكل من الأمويين والخوارج والشيعة والزبيرية ومعارضي الحكم الأموي عامة شعراؤهم الناطقون بلسانهم، الذائدون عنهم. وقد بلغ الشعر السياسي من جراء هذا الصراع غايته من الارتقاء والانتشار حتى كاد الطابع السياسي يغلب على

جل الشعر المقول آنذاك، وكان الشعر من اقوى الأسلحة في مناهضة الأعداء والذود عن مبادئ الجماعة السياسية في ذلك العصر، ومن هنا كان بنو أمية يحرصون على صنع الشعراء المجيدين وإغداق الأموال عليهم.

وكان شعراء الحزب الأموي أكثر شعراء العصر الأموي احتفالاً بتنقيح شعرهم وتهذيبه والعناية بالبناء الفني لقصائدهم ليأتي شعرهم في الصورة المكتملة فنياً إرضاء لممدوحيهم، ومن الشواهد على ذلك ما نجده في قول عدي بن الرقاع العاملي في الوليد بن عبد الملك الذي قربه منه واتخذه شاعره الرسمي ومن ذلك قوله:

صلى الإلهُ على امرىءٍ ودّعْتُه وأتَمَّ نِعْمَتَه عليه وزَادَهَا
نزَل الوليدُ بها فكان لأهلِها غيثاً أغاثَ أنيسَها وبِلادَها
أوَ لا تَرَى أنّ البَرِيَّةَ كلَّها ألقتْ خزَائِمَها إليه فقادَها
ولقد أراد اللهُ إذ وَلاَّكَها من أُمَّةٍ إصلاَحها ورشَادَها

أما شعراء الخوارج فكان شعرهم يمثل الالتزام العقدي خير تمثيل، فهم إنما وقفوا إلى جانب هذا الحزب بدافع إيمانهم بمبادئه وتشربهم عقائده، لا رغبة في عطاء أو مغنم، ومن هنا اتسم شعرهم بالصدق وتوقد العاطفة. وكانوا يقولون شعرهم عفو البديهة، ولا يجنحون إلى تكلف أو تهذيب، لأنهم ما كانوا يتوخون إرضاء ممدوح أو اجتلاب مغنم، وقد جعلوا شعرهم مجتلى مشاعرهم ومعرضاً لمبادئهم، وعلى أن النثر أقدر على بيان المعتقدات والاحتجاج لها من الشعر نجد أنهم استطاعوا عرض طائفة من معتقداتهم في شعرهم كقولهم بالتساوي بين المسلمين جميعاً في حق تولي الخلافة، لا فضل لقبيلة على أخرى، وكذهابهم إلى إنكار التحكيم بين علي ومعاوية

وتكفير علي لقبوله إياه، وغير ذلك من معتقداتهم.ومن النماذج الشعرية قول عمرو بن الحصين العنبري يرثي أبا حمزة وغيره من الشراة :

هبّتْ قُبيلَ تبلُّجِ الفجرِ ... هندٌ تقول وَدمعُها يَجري

أن أبصرتْ عيني مَدامعَها ... ينهلّ واكِفُها على النَّحر

أنَّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا ... سَرِبَ الدموع وكنتَ ذا صبر

أَقذًى بعينك ما يُفارقها ... أم عائرٌ أم مالها تُذرِي

أَم ذِكرُ إخوان فُجِعتَ بهم ... سلكوا سبيلَهُمُ على خُبْر

فأَجبتُها بل ذكرُ مصرَعِهم ... لا غيرُه عبراتُها تَمرِي

يا ربِّ أَسلِكني سَبيلَهمُ ... ذا العرش واشْدُد بالتّقى أزرِي

في فِتيةٍ صبروا نفوسَهمُ ... للمشرفيّة وَالقنا السُّمْر

تاللهِ ألقى الدهرَ مثلَهمُ ... حتى أكونَ رهينةَ القَبرِ

أوفِي بذمتهم إذا عَقَدُوا ... وَأعِفّ عند العُسر واليُسر

وقد نحا الشيعة نحو شعراء الخوارج في التزامهم ببيان معتقداتهم والاحتجاج لها في أشعارهم وعزوفهم عن التكسب بشعرهم – إلا قلة منهم – وكان أقوى حججهم قولهم بأن قريشاً أولى بتولي الخلافة من جميع القبائل وأن آل البيت هم أولى أسر قريش بهذا الأمر لقرابتهم من رسول الله، وكانوا يأخذون على بني أمية اغتصابهم حق بني هاشم وعدم أخذهم بالكتاب والسنة في سياستهم أمور المسلمين.

وقد نظم الكميت في هجاء حكام الأمويين ،ودعوة الناس للثورة عليهم حتى عُرِف بالهجاء السياسي من ذلك قوله:

ألا أبلغ جماعةَ أهلِ مَرو ... على ما كان من نَأيٍ وبُعدِ
رسالةَ ناصحٍ يُهدى سلاماً ... ويأمر في الذي ركبوا بجِدِّ
فلا تَهنوا ولا تَرضوا بخَسفٍ ... ولا يغُركُمُ أسدٌ بعَهدِ
وإلا فارفعوا الراياتِ سُوداً ... على أهلِ الضَّلالة والتعدِّي

وقد شهد العصر الأموي ازدهار فن آخر من فنون الشعر هو الشعر الغزلي الذي تفتحت براعمه في صدر الإسلام، وقد توافرت جملة من الدواعي لازدهار هذا الفن بأنواعه الثلاثة: الحضري والبدوي والنسيب. وازدهر الغزل في حواضر الحجاز، مكة والمدينة والطائف، وكان شعراء الغزل الحجازيون منصرفين في كثرتهم إلى اللهو وسماع الغناء والتعرض للنساء، وقد وجدوا بين أيدهم وفرة من المال أفاءته الفتوح على قومهم فلم يحتاجوا إلى الكد في سبيل كسبه، كما وجدوا أنفسهم بعيدين عن مواطن الصراع السياسي في الشام والعراق وخراسان، فانصرفوا إلى الشعر الغزلي وافتنوا فيه افتناناً ارتقى به إلى مرتبة رفيعة لم يبلغها الشعر العربي في أي عصر من عصوره. وكان رائد هذا اللون من الغزل الشاعر القرشي عمر بن أبي ربيعة .

ومن اشعاره الغزلية يذكر ان لقته صاحبته في المسجد ينظر إلى نساء وفي يدها خلوق — أي طيب — من خلوق المسجد، فمسحت به ثوبه ومضت تضحك، فقال:

أدخـــل اللهُ ربُّ موســـى وعيســـى جَنَّـــةَ الخُلْـــدِ مَـــنْ مَلاَنِـــي خَلُوقَـــا
مســـحتْه مـــن كَفِّهـــا فـــي قميصـــي حـــين طافـــتْ بالبيـــت مَسْـــحاً رَفِيقَـــا
غَضِـــبَتْ أَنْ نَظَـــرتُ نحـــوَ نســـاءٍ لـــيس يَعْرِفْنَنِـــي سَـــلَكْنَ طريقَـــا
وأرى بينهمـــــا وبـــــين نســـــاء كنـــتُ أَهْـــذِي بهِـــنّ بَوْنـــاً سَـــحِيقَا

والضـرب الثـاني هـو الشـعر الغزلـي العـذري الـذي ازدهـر فـي بـوادي نجـد والحجـاز خاصـة، وقـد عـرف هـؤلاء بصـدق عـاطفتهم وعفـتهم، ومـنهم مـن قـاده عشـقه إلـى الهـلاك، ومـن ابـرز شـعراء هـذه الطائفـة جميـل بـن معمـر الـذي اشتهر بحبه لبثينة وقيس بن ذَرِيح بحبه للبنى.

ومن اشعار قيس بن ذريح في لبنى بعد ان رحلت عنه قوله:

وإنـــي لأهـــوَى النَّـــومَ فـــي غيـــر حِينـــه لعـــلَّ لقـــاءً فـــي المنـــام يكـــون
تُحَـــدِّثني الأحـــلامُ أنِّـــي أَرَاكُـــم فيـــا ليـــتَ أحـــلامَ المنـــام يقـــين
شـــهدتُ بـــأني لـــم أحُـــلْ عـــن مَـــوُدّةٍ وأنِّـــي بكـــم لـــو تَعْلمـــين ضَـــنين
وأن فـــؤادي لا يَلِـــين إلـــى هـــوَى ســـواكِ وإن قـــالوا بَلَـــى ســـيَلِين

وقـد وقـف هـؤلاء وأولئـك جـل شـعرهم علـى الغـزل ونهضـوا بهـذا الفـن وأخصـبوه بمعان جديدة وصور مبتكرة لم يعرفها الشعراء قبلهم.

والضـرب الثالـث مـن الغـزل هـو النسـيب الـذي كـان الشـعراء يـأتون بـه فـي مطـالع قصـائدهم، وقصـائد المـديح خاصـة. وقـد ارتقـى النسـيب كـذلك والتزمـه الشـعراء فـي مطـالع جـل قصـائدهم، وأطالـه بعضـهم إطالـة تلفـت النظـر كجريـر بن عطية ومن الشواهد اشعاره قوله:

أَلَسْتِ أملَحَ مَنْ يمشي على قَدَمٍ ... يا أملح الناسِ كُلِّ الناس إنسانا

يلقى غَريمكُمُ مِنْ غَيرِ عُسرَتِكُم ... بالبذل بُخلاً وبالإحسان حِرمانا

قد خُنتِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَخْشى خِيانتكُمْ ... ماكنتِ أول موثوقٍ بهِ خانا

لقد كَتَمْتُ الهوى حتى تَهيَّمَني ... لا أستطيعُ لهذا الحُبِّ كِتمانا

لا بارك الله فيمن كان يَحْسَبُكُمْ ... إلا على العهدِ حتى كان ما كانا

لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت ... أسباب دُنياك من أسباب دنيانا

ما أحدثَ الدهرُ مِمَّا تعلمين لكم ... لِلحبل صرماً ولا للعهد نسيانا

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ ... قَتَلْننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حراكَ بهِ ... وَهُنَّ أضعفُ خلقِ الله أركانا

وقد أدى احتدام العصبيات القبلية آنذاك إلى وفرة الشعر المقول بدافع العصبية وهو الشعر القبلي. وإلى ظهور ضرب من الشعراء متصل بهذه العصبية وهو المناقضات. وكان الجاهليون قد عرفوا طرفاً من هذه المناقضات ولكن لم يتح لها أن تذيع وتكثر في ذلك العصر. فلما كان العصر الأموي أقبل الشعراء على المناقضات وأكثروا منها إكثاراً يلفت النظر، وكان النصيب الأوفى منها لشعراء الثالوث الفحول: جرير والفرزدق والأخطل، حتى لقد اجتمع لهم منها دواوين ضخمة.

ولهذا الضرب من الشعر أصول التزمها الشعراء المتناقضون، ومنها اتفاق القصيدتين في الوزن والقافية، ونقض كل شاعر معاني خصمه. وقد نهض هذا الفن على أيدي شعراء العصر الأموي وبلغ غاية لم يبلغها في العصور الأدبية الأخرى. على أن مما يشين النقائض ما احتوته من بذاءة لفظية وفحش وهتك للعورات.

وكانت المناقضات تدور في إطارين: إطار العصبية الواسعة بين الجذمين: العدناني والقحطاني، أو بين فرعي عدنان: مضر وربيعة.

والإطار الثاني هو إطار العصبية الضيقة بين قبائل تمت كلها إلى أصل واحد، كالمناقضات بين بني يربوع وبين دارم، وكلاهما من تميم، وشعراء هذه المناقضات هم جرير والفرزدق والبعيث، وكالمناقضات بين ابن ميادة المري والحكم الخضري، وكلاهما من قيس عيلان.

ومن الشواهد على الهجاء ما فعله جرير وقد رثي الشاعر امرأته ثم يهجو خصومه كما فعل:

لَــــولا الحَيَـــاءُ لهَـــاجَني اسِـــتعبَارُ ... وَلَـــزُرْتُ قَبـــرَكِ وَالحَبيـــبُ يُـــزَارُ

كانَـــتْ إذا هَجَـــرَ الضَّـــجيعُ فرَاشَـــها ... خُـــزِنَ الحَـــديثُ وَعفَّـــتِ الأسـَــرَارُ

لا يُلبِـــثُ القُرَنَـــاءَ أنْ يَتَفَرَّقُـــوا ... لَيـــلٌ يَكُـــرُّ عَلَـــيهِمُ وَنَهَـــارُ

كـــذب الفـــرزدق، ان عـــود مجاشـــع ... قصـــف وإن صـــليبهم خـــوّار

قـــد يؤســـرون فمـــا يفـــكّ أســـيرهم ... ويقتّلـــون فتســـلم الأوتـــار

وثمة لون آخر من الشعر عرفه العصر الأموي هو الشعر الزهدي، وهو شعر أوجدته حركة الزهد التي شهدها العصر الأموي وإن لم تبلغ فيه غايتها وكانت مضامين هذا الاتجاه متمثلة بالحث على التقوى والعمل الصالح وترك الدنيا فالمسلم الحق من عاش للأخرة وكان هذا الزهد يمثل زهدا معتدلا ومن جميل ما وجدنا في الزهد قول سابق البربري:

الـــنَّفْسُ تَكْلَـــفُ بِالـــدُّنْيَا وقـــد عَلِمَـــتْ ... أَنَّ السَّـــلامَةَ منهـــا تَـــرْكُ مـــا فيهـــا

وَاللهِ مـــا قَنِعَـــتْ نَفْـــسٌ بِمَـــا رُزِقَـــتْ ... مِـــنَ المَعِيشَـــةِ إلا سَـــوْفَ يَكْفِيهـــا

أَمْوَالُنـــا لِـــذَوِي المِيـــرَاثِ نَجْمَعُهـــا ... وَدُورُنَـــا لِخَـــرَابِ الـــدَّهْرِ نَبْنِيهـــا

قِـسْ بِالتَّجَـارِبِ أَحْـدَاثَ الزَّمَـانِ كمـا ... تَقِـيسُ نَعْـلاً بنَعْـلٍ حِـينَ تَحْـذُوها

واللهِ مـــا غَبَـــرَتْ فـــي الأَرْضِ نَـــاظِرَةٌ ... إلاَّ وَمَـــرُّ اللَّيَـــالي ســـوف يُفْنِيهـــا

خصائص الشعر في العصر الأموي:

خصائص الشعر السياسي في العصر الأموي يمكن ان نوجزها بالاتي:

١- استمد الشعراء المعاني والأفكار من معاني الشعر الجاهلي سواء أكان في الغزل أو المدح، أو الهجاء، أو الفخر.

٢- الوحدة الموضوعية التي كانت واضحة في أشعار الخوارج والشيعة، بالدفاع عن فصائلهم السياسية.

٣- كانت معظم قصائد الشعر السياسي عبارة عن مقطوعات شعرية قصيرة، فلم تكن قصائدهم طويلة، وذلك لاقتصارها على غرض شعري واحد.

٤- التأثر بالمعاني الإسلامية، حيث نلمس الحماسة الدينية التي تمثلت في الدعوة للجهاد والاستشهاد في سبيل الله، والأخلاق الإسلامية كالتقوى والعدل، والصدق.

٥- الألفاظ والعبارات، فقد كانت ألفاظهم جزلة، رقيقة، وعذبة، بعيدة عن الغموض والتكلف. اعتمدوا على أسلوب المناظرات في إلقاء وقول الشعر.

المصادر والمراجع:

- الأمـــالي فـــي الادب الاســـلامي. د. ابتســـام مرهـــون الصـــفار، المؤسســـة اللبنانية للكتاب الاكاديمي بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١٤.
- تـــاريخ الأدب العربـــي العصـــر الاســـلامي، د. شـــوقي ضـــيف، دار المعارف، مصر،ط١١.